﴿سورة الماعون﴾

وفيها أربع مسائل :

المسألة الأولى: فى قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)﴾ لم خص اليتيم بالدع وخص المسكين بالحض؟ ولم قدمت الآية ذكر اليتيم على المسكين ؟

الجواب: يجب أولاً معرفة معنى (الدع) فى قوله تعالى: ﴿**يَدُعُّ الْيَتِيمَ(٢)**﴾، (فالدع من الفعل دعَّ يدع دعاً أى دفعه) [١]، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣**﴾[٢] أى (يُدفعون فيها دفعاً) [٣]، وعلى هذا فإن الدع لا يكون إلا دفعاً بغلظة وعنف، وقد تعددت أقوال المفسرين في تحديد من نزلت فيه هذه السورة فقيل نزلت فى أبى جهل أو أبى سفيان أو الوليد بن المغيرة (فأبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة) [٤]، ولا يخفى أن الآية تنطبق على كل منافق ومكذب بيوم الدين كان هذا حاله فكما هو معروف أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما (الحض) فى قوله تعالى: ﴿**وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)**﴾ فهو بمعنى الحث والنصيحة، فهذا الخبيث لا يحث غيره على إطعام المساكين فكيف تظن أنه سيطعمهم بنفسه ؟ وقد صورت الآية شدة بخله وخبث نفسه فى هذه الصورة المعبرة فهو يبخل بالنصيحة على غيره لإطعام المسكين فكيف يُتصور ممن كان هذا حاله أن يطعم المسكين من حر ماله وقد بخل أن يطعمهم من مال غيره ؟ .

---

(١) مختار الصحاح ٢١٨/١، محمد بن أبى بكر الرازى ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) سورة الطور/ آية ١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٣١/٧

(٤) تفسير البيضاوى ٥٣٤/٥

وقد ذكر ربنا ﷻ الدع والدفع بعنف مع اليتيم الذى فقد العطف والحنان والرعاية والاهتمام بموت والده ومن يقوم على مصالحه لتبشيع صورة هذا المكذب بالدين، فهو يدع اليتيم الصغير ويدفعه بقسوة وغلظة، ولا يترفق به أو يعطيه من الحنان والرأفة ما هو فى أمس الحاجة إليه،إذ لا والد يحميه ولا قرابة تنتصر له، فهو فى ذل بين الناس لا يملك من يرد عنه أذاهم، وقد جاء بالفعل المضارع (يدع) الذى يفيد التجدد والاستمرار لبيان أن هذا العنف والدع صفة متكررة فى هذا المنافق وسمة ملازمة له فى كل مرة يطلب منه اليتيم العون والغوث، أما من فعل هذا مرة ثم ندم عليه وتاب فإنه لا يدخل تحت هذا الوعيد .

ثم عبَّر ربنا ﷻ عن موقف هذا المنافق مع المسكين بامتناعه عن الحض على إطعامه وقد كثر اقتران المسكين بالإطعام فقال ربنا: ﴿**إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ(٣٣)وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٤)**﴾[1]، وقال:﴿**وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)**﴾[2] ، وقال:﴿**وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(١٨)**﴾[3]،وفيه دلالة على شدة احتياج المسكين للطعام لعوزه وفقره وحاجته، فالمسكين من المسكنة والعوز والحاجة وأشد ما يحتاجه المرء هو الطعام ففيه قوام حياته، ومن ثمَّ أكثر القرآن من الربط بين المسكين وبين الإطعام .

وأرى أن تقدم ذكر اليتيم على المسكين فى السورة للدلالة على شدة حاجة اليتيم – الذى فقد حنان الأبوة وعطف الوالدين– إلى تعاون المجتمع المسلم معه وتعويضه عما فقده من حب ورعاية تؤثر على سلامة نفسيته وبناء شخصيته، وهذه الخطوة إذا فقدها اليتيم فسيتحول إلى مسكين لا يجد طعام يومه، فكانت أولى خطوات محاربة حاجة المسكين إلى الإطعام هى الاهتمام باليتيم وحسن رعايته ... والعلم عند الله ﷻ .

---

(١) سورة الحاقة / الآيتان ٣٣ – ٣٤ .
(٢) سورة المدثر/ ٤٤ .
(٣) سورة الفجر/ ١٨ .

المسألة الثانية: ما سر الربط بين دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين من جهة، والسهو عن الصلاة من جهة أخرى ... فى قوله تعالى: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾؟

والجواب: إن الارتباط بين الخصلتين فى هؤلاء المكذبين واضحة، فقد دلت الصفة الأولى على إضاعة حق المخلوق، بينما دلت الصفة الثانية على إضاعة حق الخالق، فكما قصروا في شأن المخلوق حيث زجروا اليتيم ولم يحضوا على إطعام المسكين فقد قصروا في طاعة الخالق فما صلوا وما زكوا، وياخسارة من أضاع حق العباد ورب العباد .

المسألة الثالثة : لمَ قال ربنا :﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) ﴾ولم يقل (فى صلاتهم)؟

والجواب: بأن استعمال حرف الجر (عن) فى الآية نعمة من الله ﷻ ورحمة بعباده ورفع للمشقة والحرج عنهم فالدلالة كبيرة بين التعبيرين (عن صلاتهم) و(فى صلاتهم) فالأولى تدل على أن السهو ليس فى أثناء تأدية الصلاة، بل هم يسهون عنها بمعنى يسهون عن فعل الصلاة ، وهذا السهو قد يكون له عدة معانٍ منها (ألا يُبالون بها، لأنهم لا يعتقدون وجوبها) [١]، أويكون السهو عنها يعنى (تركها رأساً أو فعلها مع قلة مبالاة بها) [٢] ومن بين معانى السهو عن الصلاة ما ذكره ابن عاشور من أنه (يجوز أن يكون معناه الذين لا يؤدون الصلاة إلا رياء، فإذا خلوا تركوا الصلاة) [٣]، وقيل فى معنى السهو عنها أى (يؤخرونها عن أوقاتها، وقيل: لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها) [٤]، قلت :ويؤكد هذا المعنى قراءة عبد الله (الذين هم عن صلاتهم لاهون) [٥] .

---

(١) البحر المديد ٥٤١/٨ .
(٢) غرائب القرآن ٥٧٣/٦ .
(٣) التحرير والتنوير ٤٩٨/٣٠ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٢٠ .
(٥) المرجع السابق ٢١١/٢٠ .

وهذا كله بخلاف معنى (فى صلاتهم) التى تدل على السهو فى أثناء تأدية الصلاة مما يحدث لكل الناس من وسوسة الشيطان وأحاديث النفس، ولذا قال عطاء: (الحمد لله الذي قال: ﴿عن صلاتهم﴾، ولم يقلفي صلاتهم)[1]، ولو قال (فى صلاتهم) لدخل كل المسلمين تحت هذاالتهديد والوعيد ولصار حديث النفس للمسلم المصلى فى صلاته مدعاة الهلاك والثبور وهذا لا يكاد ينجو منه أحد، قال الزمخشري: (فإن قلتَ: أي فرق بين قوله: ﴿**ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ(٥)**﴾، وبين قولك: (في صلاتهم) ؟ قلت: معنى "عن" أنهم ساهون عنها سهو ترك لها، وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطارمن المسلمين، ومعنى" في " أن السهو يعتريهم فيهابوسوسة شيطان، أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم) [2]، ومما يؤكد أن السهو فى الصلاة لا ينجو منه أحد ما ورد فى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن بحينة ﷺ أنه قال: (إن رسول الله ﷺ قام من اثنتين من الظهرلم يجلس بينهمافلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك) [3]، فدلَّ هذا على وقوع السهو منه ﷺ فى الصلاة فوقوعه من غيره أكثر احتمالاً، ومن ثمَّ شُرِع سجود السهو فى الصلاة على النحو الموضح فى كتب الفقه .

المسألة الرابعة: ما المراد بالماعون، فى قوله تعالى: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ (٧)﴾ ؟

والجواب: الماعون عند أكثر المفسرين (اسم جامع لما لا يُمنَع في العادة ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولا يُنسَب سائله إلى لؤم بل يُنسَب مانعه إلى اللؤم والبخل، كالفأس والقدر والدلو والمقدحة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/٢٠ .

(٢) الكشاف ، ٤ / ٨٠٥ .

(٣) أحكام القرآن محمد بن عبد الله بن العربى ، ١٤٩/٨، دار الكتب العلمية لبنان .

والغربال والقدوم ويدخل فيه الماء والملح والنار) [1]، فدل هذا على شدة بخلهم وخبث طباعهم حتى أنهم يمنعون عن الناس أدنى خير لا يضيرهم بذله ولا يكلفهم فعله عظيم جهد ولا كثير مال، (قال الفراء:سمعت بعض العرب يقول:الماعون هو الماء وأنشدني فيه: "يمج بعيره الماعون مجاً"، ولعله خصه بذلك لأنه أعز مفقود وأرخص موجود، وأول شي يسأله أهل النار الماء كما قال ربنا: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ**﴾ [2]، وأول لذة يجدها أهل الجنة هو الماء كما قال: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢١)**﴾[3]) [4]، ومن بين أقوال المفسرين فى الماعون أنها هى الزكاة لأن من دلالة الماعون الشئ القليل، وسميت الزكاة ماعوناً لأنها رُبع العشر من المال إذا بلغ نصاباً وحال عليه الحول فهى قليل يؤخذ من المال الكثير، وكأن الله ﷻ قد ذكر فى هذه السورة حقه ﷻ على عباده فى الصلاة، وحق عباده بعضهم على بعض فى الزكاة ... والله أعلى وأعلم .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٧٤/٦

(٢) سورة الأعراف / من الآية ٥٠ .

(٣) سورة الإنسان / من الآية ٢١

(٤) مفاتيح الغيب ١٠٨/٣٢